

دور ملوك السودان الغربي والأوسط في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء

بين القرنين الخامس والتاسع للهجرة / الحادي عشر والخامس عشر للميلاد



نور الدين شعباني

أستاذ مساعد

ورئيس اللجنة العلمية لقسم العلوم الإنسانية

المركز الجامعي خميس مليانة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

نور الدين شعباني ، دور ملوك السودان الغربي والأوسط في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء بين القرنين الخامس والتاسع للهجرة / الحادي عشر والخامس عشر للميلاد.- دورية كان التاريخية.- العدد الرابع عشر ؛ ديسمبر ٢٠١١. ص ٤٧ – ٥٣.

(www.historicalkan.co.nr)

مقدمة

إن الشيء الذي تتفق حوله الدراسات التاريخية ، هو أن الإسلام وإن اتخذت الفتوحات العسكرية سبيلاً لشق طريقه في بعض أقطار المعمورة وخاصةً تلك كانت تسودها إمبراطوريات وممالك عظيمة وقوية مثل بلاد الفرس والرومان وبلاد الفرنجة ، إلا أنه لم ينتشر إلا بالطرق السلمية والدعوة في أغلب أنحاء الأرض. ومن أشهر المناطق التي مثلت فيها الدعوة السلمية النموذج الحقيقي لانتشار الإسلام ، وبرزت فيها قدرة المسلمين على نشر عقيدتهم بالإقناع والحجة وحسن المعاملة ، هي إفريقيا السوداء أو ما يُعرف بإفريقيا جنوب الصحراء والتي يُصطلح على تسميتها في أدبيات المؤرخين العرب ببلاد السودان. لقد لعبت تجارة القوافل والفقهاء دورًا كبيرًا في نشر الإسلام في الديار السودانية ، حيث نابت الأسواق عن ميادين الوغى ونابت الأمانة والصدق وحسن المعاملة عن السيف في نشر عقيدة التوحيد. وقد أشارت الدراسات التاريخية كثيرًا للدور الذي لعبه فقهاء الاباضية والمالكية في نشر الإسلام في السودان الغربي ، وكذا دور المرابطين في القضاء على الوثنية والمساهمة في قيام دول إسلامية هناك.(١) لكننا نلاحظ بأن هناك إجحاف كبير من طرف المؤرخين في إبراز دور ملوك الممالك السودانية المسلمين ، الذين يعود لهم الفضل الكبير في تدعيم أركان هذا الدين في ربوع أوطانهم ، وغرس قيمه في صفوف شعوبهم ، وحرصهم الشديد على تبليغ هذا الأمر. لهذا سنحاول من خلال هذه الدراسة أن نسلط الضوء على الطريق الذي وصل به الإسلام إلى هؤلاء الملوك ، ومجهوداتهم في نشر الإسلام ، ثم دورهم بعد ذلك في توطيد أركانه وإرساء دعائم حضارة إسلامية في إفريقيا السوداء على أنقاض الوثنية.

اعتناق قبائل الصحراء للإسلام ودورهم في نشره باتجاه الجنوب

لقد كان للاحتلال الروماني لشمال إفريقيا يشكل حاجزًا مهمًا أمام السودان الغربي والأوسط ،(٢) ومع نهاية العهد الروماني عرفت القوافل التجارية ومعها الجمال الطريق العابر للصحراء ، معلنة عن ثورة حقيقية قلبت نمط الحياة في الصحراء الكبرى ، وامتدت آثارها إلى غاية القرن التاسع للهجرة مع اكتشاف البرتغاليون للطريق البحري. فلقد جلب الجمل نشاطًا جديدًا للصحراء وسكانها من البربر من خلال انتعاش عدد من المدن التجارية على حواف الساحل الصحراوي ، كما سمح أيضًا بإقامة اتصال دائم بين جنوب الصحراء والحضارة القائمة في شمالها.(٣) وإذا تحدثنا عن حضارة شمال الصحراء فإننا نقصد بالطبع الحضارة الإسلامية التي بدأت تبسط جناحيها على شمال إفريقيا منذ القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد. إن الشيء الجدير بالإشارة هو ؛ أن الفتوحات الإسلامية التي قادها العرب لم تتمكن من نقل هذا الدين الجديد إلى ما وراء الصحراء.(٤) فكان للبدو من بربر الصحراء الدور الرئيسي في الاضطلاع بهذه المهمة ابتداء من القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد. فلقد كانت أول حالات اعتناق الإسلام التي شملت سكان السودان الغربي إنما عن طريق قوافل التجار البربر التي كانت تتردد مابين المغرب وبلاد السودان ، ولما كانت الصحراء هي وسيلة الربط الرئيسية بين الإقليمين فقد كان من الطبيعي أن يقوم أهل الصحراء بالدور الرئيسي في إقامة العلاقات

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

التجارية فيما بين شمال الصحراء وجنوبها، ومن ثَم في نشر الإسلام.(٥)

لقد كان البدو الرحل الصحراويون المعروفون بالملثمين أو قبائل صنهاجة، يقطنون الصحراء الكبرى على امتداد الطريق الممتد من موريتانيا إلى أودغست،(٦) وكانوا يسيطرون على الصحراء ويتحكمون في القوافل التجارية المتجهة إلى بلاد السودان(٧) خاصةً عندما أحكموا سيطرتهم على أودغست سنة ٣٥٠ هجرية/ ٩٦١ ميلادية.(٨) وكانت القوافل التجارية تجتاز الصحراء عبر طرق ومسالك وواحات ومناجم الملح. الذي كان أثمن سلعة يصدرونها إلى بلاد السودان.(٩) في رحلة شاقة وصعبة وجمة المخاطر، و لكنها مربحة.(١٠) فلقد كانت تلك الأرباح كفيلة بأن تجعل التجار يولعون بالدخول إلى أرض السودان. لذلك كثرت الحركة التجارية، واكتظت المدن التجارية بمختلف الجاليات المتاجرة.(١١) وباعتناق قبائل صنهاجة الإسلام على يد عقبة بن نافع الفهري(١٢) تحولت إلى صاحبة رسالة حضارية، تمثلت في نشر الإسلام بين الأقوام السودانية الذين كانوا يحتكون بهم في الأسواق والمراكز التجارية المنتشرة في الحواف الجنوبية للصحراء، وعلى تخوم بلاد السودان.(١٣)

وهكذا؛ فقد انتشر الإسلام بين الزنوج انتشارًا سريعًا وهادئًا دون اللجوء إلى العنف، فلقد كان التجار المسلمون في تنقلهم بين المراكز التجارية واحتكاكهم بالزنوج، يؤثرون فيهم بسلوكهم الشخصي وأمانتهم ونظافتهم، وكثيرًا ما انتهى هذا الاحتكاك بدخول كثير من هؤلاء الزنوج في الإسلام، ذلك أن عدد كبير من هؤلاء التجار كان يجمع بين التجارة والعلم.(١٤)

كما لعب الفقهاء الاباضيون الذين استقروا على أطراف الصحراء في واحات فزان وجبل نفوسة وغدامس، وواحات الجزائر منذ القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، في اعتناق مجموعات من قبيلتي هوارة وزناته للمذهب الاباضي، وتخصص كثير منهم بالتجارة عبر الصحراء، فانضموا هم أيضًا إلى النشاط الدعوي بالموازاة مع نشاطهم التجاري.(١٥) كما أن قيام دول خارجية في المغرب الأوسط والأقصى كدولة بني مدرا الصفرية بسجلماسة، ودولة بني رستم بتيهرت، كان له أيضًا تأثيرًا بالغًا في انتشار الدعوة الاباضية في صفوف التجار، على الأقل إلى غاية نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهي الفترة التي كانت عواصمهما تمثل أهم نقطتين تنتهي إليهما طرق القوافل التجارية المتجهة نحو أرض السودان.(١٦) وكانت أسرة بني الخطاب الاباضية في زويلة (فزان) تسيطر على الطرف الشمالي لطريق التجارة الهام الواصل بين ليبيا وحوض بحيرة التشاد.(١٧) وقد ورد في المصادر الإباضية بأن هناك عدد كبير من أئمتهم وفقهائهم قد زاروا غرب إفريقيا، وقد أسلم على أيديهم عدد مهم من السودان،(١٨) وخاصةً زعماء القبائل وأمرائهم الذين كانوا أكثر احتكاكًا بهؤلاء التجار العلماء وأشد المعجبين بهم، لذا تبوؤوا مكانة مميزة لديهم.(١٩) ورغم أننا لا نرى اليوم أي آثار للمذهب الاباضي في الصحراء الجنوبية وإفريقيا الغربية، إلا أننا تعتقد بأنها اختفت تحت تأثير حركة المرابطين السنية المالكية، بالإضافة إلى زحف قبائل البدوية لبني هلال العربية على شمال إفريقيا والتخوم الشمالية للصحراء ابتداءً من القرن الخامس للهجرة مما أدى إلى أفول نجم المجموعات الاباضية.(٢٠)

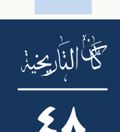
وعمومًا فإن الإسلام ظل ينتشر بين صفوف الشعوب السودانية من التجار أولاً، ثم انتقل إلى طبقة الحكام ورجال الحاشية، لكن بوتيرة أقل، بحيث استغرقت هذه الفترة حوالي قرنين من الزمن، أي من القرن الثاني الهجري/السادس الميلادي إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. لكن بمجرد انتهاء القرن الرابع وبداية القرن الخامس للهجرة حتى عرفت أرض الصحراء الكبرى حركة سياسية اتخذت طابعًا دينيًا، وعرفت على إثرها أرض السودان تسارع في وتيرة إسلام أهلها، ألا وهي حركة المرابطين. حيث عَرف الإسلام بفضلها تغلغلاً حقيقيًا في السودان الغربي والأوسط، فانتشر لأول مرة في منطقة السنغال الأعلى والسنغال، وشواطئ بحيرة التشاد، واكتسب الدين الإسلامي بذلك اعترافًا رسميًا في المجتمعات الإفريقية بعدما قبل به الحكام والأمراء.(٢١) فبعدما تزعم الفقيه السوسي عبد الله بن ياسين قبائل جدالة الصنهاجية، ثم دخلت قبيلة لمتونة في دعوته، وغزا قبائل الصحراء، ودانت له ولدعوته المرابطية، قام خليفتاه يحي بن عمر وأخوه أبي بكر بن عمر بتوجيه دعوتهما إلى داخل الصحراء، حيث توجه أبو بكر بن عمر وابنه يحي على رأس جيش من المرابطين باتجاه بلاد السودان لنشر الإسلام في مملكة غانة الوثنية.(٢٢) حيث تم إخضاعها الواحدة تلو الأخرى.(٢٣) وكان الأمير أبو بكر يخير أهل البلاد المفتوحة بين الإسلام أو الحرب إلى أن سقطت العاصمة الغانية كومبي صالح في أيدي المرابطين عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م،(٢٤) بعدما قتل عدد كبير من سكان غانة السوننكي.(٢٥) وهنا يجب أن نشير إلى أن المرابطين قاموا بعمل دعوي سلمي داخل مملكة غانة التي سقطت بين أيديهم ولم يرغموا سكان غانة السوننكي على إتباع الدين الجديد كما تدعيه بعض الدراسات الغربية، حيث قام أبو بكر بن عمر بإقامة عدد من الرباطات والمساجد وبالتالي كثر عدد الداخلين إلى الإسلام، كما سمح لملكهم بالبقاء في الحكم تابعا للمرابطين ولم يعزله.(٢٦)

ومهما يكن فإننا يجب أن نعترف؛ بأن موجة اعتناق الإسلام الأولى في بلاد السودان، سواءً كانت بدور من التجار أو الفقهاء، أو المرابطين، لم تشمل كل شرائح المجتمع السوداني، أو على الأقل لم يكن إسلام من أسلم منهم إلا إسلامًا سطحيًا، بينما نجد الفئة التي كانت السباقة لاعتناق الإسلام وفهمته واقتنعت به، ومن ثَم وعت الرسالة التي يرمي إليها هذا الدين، إنما هي الطبقة الأرستقراطية من التجار الكبار ورجال الدولة وفي مقدمتهم فئة الملوك والأمراء الذين لم يكتفوا باعتناق الإسلام والالتزام بتعاليمه فقط، وإنما تحولوا إلى دعاة حقيقيين من خلال مساهمتهم في نشر الإسلام في صفوف رعاياهم الذين بقوا متمسكين بدياناتهم التقليدية القائمة على الوثنية والسحر وعبادة أرواح الأجداد وغيرها. أو أولئك الذين لم يستوعبوا بعد مقاصد هذا الدين الجديد، كما شارك ملوك آخرون في الجهاد ضد الكفار من أجل إعلاء كلمة التوحيد.

إسلام ملوك السودان

لقد عرف السودان الغربي والأوسط ممالك وثنية قوية قبل انتشار الإسلام في أرضهم، وكانت هذه الممالك الوثنية على قدر كبير من التنظيم والتطور، لذلك كانت لملوكها علاقات تجارية وسياسية متينة مع دول المغرب الإسلامي. فمنذ أيام دولة بني مدرار في سجلماسة كان أئمتها يربطون علاقات تجارية منتظمة مع السودان الغربي منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي.(٢٧) كما أن المصادر الاباضية تخبرنا بأن أئمة الرستميين بتيهرت قد ربطتهم علاقات دبلوماسية وتجارية مع مملكة غانة الوثنية آنذاك،(٢٨) بالإضافة إلى ارتباطهم بتجارة مع مملكة الكانم(٢٩) ومع مملكة سونغاي.(٣٠)

دورية إلكترونية. مُحكّمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449



ولهذا أمكننا القول؛ بأن ملوك السودان كانوا على اتصال واحتكاك دائم بالمسلمين المغاربة منذ وقت مبكر، وهو ما أدى إلى حدوث تعايش كبير بين هؤلاء الملوك والجالية المسلمة إلى درجة أن المؤرخ والجغرافي الأندلسي أبا عبيد البكري ذكر بأن مملكة غانة الوثنية كانت تضم مدينتين واحدة يسكنها المسلمون، ويوجد بها إثنى عشر مسجدًا، وبها الأئمة والراتبون والمؤذنون والفقهاء وحملة العلم، وأخرى خاصةً بالملك وتحتوي على مسجد واحد يصلي فيه من يفد على الملك من المسلمين.[٣١] وبذلك تكون الجالية المسلمة قد أثرت كثيرًا على هؤلاء الملوك الوثنيين،[٣٢] حتى أصبحوا معجبين كثيرًا بهم ويقدرونهم ويقتدون بهم، بل ويعتمدون عليهم في إدارة شؤون دولتهم، حيث أن البكري يذكر بأن ملك غانة كان يتخذ ترجمانه وبيت ماله من المسلمين، وأن أكثر وزرائه كانوا من المسلمين.[٣٣] كما أصبحوا يتشبهون بهم لحسن أخلاقهم وصدقهم وأمانتهم وحسن معاشرتهم، فأصبح ملوك غانة يقتدون بالمسلمين حتى في لبسهم المخيط عكس ما كان عليه سائر الرعية من لبس الملاحف القطنية والحرير،[٣٤] فكان حري بهم أن يتبعوا دينهم أيضًا.

ولا يعني ذلك أن هؤلاء الملوك كانوا بالضرورة مسلمين شديدي الورع أو عميقي الإسلام، فقد كان عليهم أن يراعوا أيضًا الأعراف المحلية والمعتقدات التقليدية لأغلبية رعاياهم غير المسلمين الذين كانوا يرون في ملوكهم تجسيدا أو واسطة لقوى عليا أسمى من الطبيعة، كما أنه لم يكن هناك من الملوك من له السلطة لفرض الإسلام أو الشريعة الإسلامية دون التأثير بذلك على ولاء غير المسلمين له.[٣٥] وهذا ما يفسر بقاء الشعائر والطقوس الوثنية في بلاطات ملوك مسلمين ورعين أمثال منسا موسى ملك مالي أو الأسكيا الحاج محمد توري ملك سونغاي.

ولقد كان أول من اعتنق الإسلام من ملوك مالي حسب البكري يدعى المسلماني،[٣٦] والذي أسلم على يد أحد المسلمين الذين كانوا يعيشون في بلاده، و هو من قراء القرآن المعلمين للسنة في أرض مالي، فقد أجدبت الأرض عاما بعد عام، فقدم سكان البلد القرابين لآلهتهم حتى كادوا يفنونها، لكن دون جدوى، إلى أن شكا ملكهم أمره لهذا الضيف المسلم الذي اقترح عليه أن يؤمن بالله ويقرّ بوحدانيته وبمحمد رسول الله، مقابل أن يدعو له ربّه لفك عنهم كربتهم. فأسلم ملك مالي وأخلص نيته، وتعلم كتاب الله وشرائعه وتطهّر، وصلى ليلة الجمعة إلى جانب الرجل المسلم وهو يدعو الله طوال الليل، فما إن حلّ الصباح حتى سقاهم الله مطرًا. فأمر الملك السوداني بكسر الدكاكير التي كانوا يعبدونها، وإخراج السحرة من بلاده، و صحّ إسلامه، وأسلمت عشيرته وحاشيته، بينما بقي أهل مملكته مشركين.[٣٧]

إن البكري لم يذكر لنا اسم ذلك الفقيه المسلم الذي أسلم على يديه ملك مالي أو(ملل حسب ذكر البكر)، لكننا نجد في المصادر الإباضية رواية مشابهة لرواية البكري لكنهم ينسبون أحداثها لأحد أئمتهم وهو علي بن يخلف، إلا أنهم يقولون بأنها حدثت مع ملك غانة وليس مع ملك مالي.[٣٨] وهذا يعود ربما إلى كون مالي كانت تابعة خلال الفترة التي جرت فيها الأحداث إلى إمبراطورية غانة، كما أن مملكة غانة كانت مشهورة لديهم بحكم العلاقات التجارية والدبلوماسية التي كانت تربطها بهم.[٣٩] فابن الصغير يذكر بأن الإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب أوفد سفيرًا إلى ملك السودان يدعى محمد بن عرفة حاملاً معه هدية.ورغم أن ابن الصغير لم يذكر اسم الملك السوداني لكن فترة حكم الإمام أفلح بن عبد الوهاب (١٨٠ - ٢٢٠ هجرية/ ٧٩٦ - ٨٤٤ ميلادية) توافق فترة وجود إمبراطورية غانة كأعظم دولة في السودان الغربي، بينما لم تكن قد ظهرت بعد مملكة مالي. ما يجعلنا نميل إلى القول بأن الملك الذي زاره الإمام الرستمي علي بن يخلف هو ملك مالي وليس ملك غانة كما تهب إليه المصادر الاباضية.

وعلى كل حال؛ فإن هذه الرواية تبين لنا دور الفقهاء المسلمين في إسلام ملوك السودان وحاشيتهم، ودرجة تأثيرهم فيهم وثقة أولائك الملوك بهم، كما تبين لنا من جهة أخرى أن الملوك وحاشيتهم المقربين كانوا أول من اعتنق الإسلام، بينما تأخر إسلام رعيتهم، أو لم يكن بنفس درجة ملوكهم. كما يشير البكري أيضًا إلى ملك إمارة الوكن بغانة وهو فنمر بن بسي الذي كان مسلمًا ولكنه كان يخفي إسلامه عن رعيته،[٤٠] وهو يؤكد ما ذكرناه سابقًا من أن ملوك السودان كانوا يراعون رغم إسلامهم مشاعر ومعتقدات أغلبية رعاياهم المتمثلة في عباد الأوثان، والقوى السحرية، وأرواح الأجداد، وغيرها من المعتقدات التقليدية السائدة. ومنه يمكن القول بأن الإسلام في السودان كان في البداية ديانة الملوك والطبقة الأرستقراطية، بينما الطبقات الشعبية العامة لم تكن قد استوعبت بعد تعاليمه وبقيت وفية لوثنيتها، وهو ما جعل الملوك يضطلعون بمهمة نشر الإسلام في أوساط شعوبهم، وجعلهم يتحولون إلى دعاة حقيقيين، وأصحاب رسالة حضارية ورثتها بعدهم الأجيال المتعاقبة من ملوك السودان المسلمين، رغم أنهم لم يكونوا من الفقهاء الكبار، وأن كل ما كانوا يعلمونه من هذا الدين كانوا يتلقونه من الوافدين عليهم من رجال الدين،[٤١] وكان منهم من رفع راية الجهاد في سبيل التمكين للدين الإسلامي في ديار السودان.

ولقد كانت أسرة ندياي التكرورية من أوائل الأسر الحاكمة في السودان الغربي التي اعتنقت الإسلام، فقد اعتنقته في وقت مبكر، وبدون إكراه، وحتى قبل الغزو المرابطي لغانة، والتي فهم ملوكها الإسلام واندمجوا بسرعة في حركته التي شملت السودان الغربي منذ القرن الخامس للهجرة بقيادة المرابطين، حيث دخل ملكهم "لبي بن وارديابي" أو "وارجابي" في حلف مع المرابطين ضد كفار غانة.[٤٢] وبالتالي بدأت مرحلة جديدة من مراحل انتشار الإسلام في السودان الغربي والأوسط مراحل انتشار الإسلام في السودان الغربي والأوسط، وهي المرحلة التي لعب فيها ملوكهم الدور الأساسي في التمكين لهذا الدين وإرساء أسس الحضارة الإسلامية في هذه الأرض. كما كان لظهور طبقة من العلماء ورجال الدين المسلمين الذين ينتمون إلى أصل سوداني حدثًا مهمًا في تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، حيث بدأ ينتشر على يد أناس من أهل البلاد يعرفون اللغات والأعراف والمعتقدات المحلية، وامتد تأثير هؤلاء إلى غاية السودان الأوسط، حيث كانت المنطقة الممتدة من بحيرة التشاد إلى غاية حوض النيجر الأوسط وخاصةً إقليم الهوسا تشكل منطقة صعبة لانتشار الإسلام إلى غاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. حيث استقبلت موجات من المسلمين السودان من جماعة الونجارة (ونغارة) التجار الذين تمكنوا من نشر الإسلام بين التجار خاصةً وبين الطبقات الحاكمة، ومنها قصر الملك "ياجي" الذي أصبح مسلمًا

دورية إلكترونية، مُحكَمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

متشددًا يرغم رعاياه على إقامة الصلاة ، وأخذت تدخل إلى بلاده كتب أسلامية حملها معهم الفلاتة وتضم علم الكلام وأصول اللغة.[٤٣]

أما في مملكة سونغاي ، فقد أسلم الملك "ديا أكوسي" الذي استقر في غاو حوالي عام ٤٠٠١ هـ/ ١٠١٠م ، لكن في تلك الفترة أيضًا مازال الإسلام يمس فقط العائلة الملكية والطبقة الأرستقراطية التي يبدو أنها أعجبت كثيرًا بسلوك التجار المسلمين الذين كانت تعج بهم عاصمتهم ، وبهيئتهم وطريقة لبسهم وأحصنتهم ، أكثر من شيء آخر حسبما يذهب أليه كورنفان(Cornevin).[٤٤]

دور ملوك السودان في نشر الإسلام

حسب المؤرخ الأندلسي أبي عبيد البكري فإن ملوك التكرور المنتمين إلى أسرة ندياي كانوا أول من اعتنق الإسلام من ملوك السودان.[٤٥] وحسب المؤرخ الانجليزي سبنسر تريمنغهام (Spencer Trimingham) فإن ذلك يعود إلى كون عبد الله بن ياسين اختار منطقة الساحل الجنوبي لنهر السنغال موقعًا لإقامة رباطه الشهير ، وهو ما أدي إلى انتشار التأثير الإسلامي في هذه المنطقة منذ وقت مبكر.[٤٦] لذلك اعتنق الملك التكروري وارديابي الإسلام لما وجد في عقيدته من جاذبية وتجانس ، بالإضافة إلى ما كان يمثله له الإسلام من رقي اجتماعي وتفتح على العالم ، فوجدت بذلك دعوة عبد الله بن ياسين استجابة واسعة من أهل التكرور وفي مقدمتهم أسرة آل وارديابي ، وخاصةً الملك.[٤٧] وذلك قبل أن يستولي ابن ياسين على مدينة أودغست.[٤٨] وقد لعب ابنه" لبي بن وارديابي"من بعده دورًا كبيرًا في نشر الإسلام من خلال تحالفه مع جيش المرابطين في حربهم ضد خصومهم من جدالة والمرتدين عن دعوتهم وذلك عام ٤٤٨ هـ/١٠٥٦م ، في معركة تبفريلي ، وهي المعركة التي قُتل فيها الزعيم اللمتوني يحي بن عمر.[٤٩] وبالتالي فإن اسم مملكة التكرور كان أكثر الممالك شهرة عند المصادر العربية[٥٠] بسبب أسبقية شعبها في اعتناق الإسلام ، وظلوا من أشد الشعوب تمسكًا بتعاليمه.

إن الملوك وعلى رأسهم "وارديابي" واصلوا عملية الدعوة داخل مملكتهم ، وحسب البكري فإن مدينة التكرور كان أهلها السودان على ما كان عليه سائر السودان من المجوسية وعبادة الدكاكير[٥١] إلى غاية أن تولى الحكم فيهم وارجابي سنة ٤٣٢ هـ/١٠٤١م ، حيث اعتنق الإسلام وأقام في مملكته الشريعة الإسلامية ، وفرض على شعبه اعتناقه.[٥٢] وبالتالي فقد أصبحت جميع المدن والإمارات الهامة التابعة لمملكة التكرور والممتدة من التكرور إلى غاية سيلا(غالام) كلها مسلمة على يد الملك وارديابي بن رابيس ، كما أن ملك سيلا رفع هو بدوره راية الإسلام في إمارته وأصبح يحارب كفارها الساكنين في مدينة قلنبو.[٥٣]

وفي الفترة مابين القرنين الخامس والسابع للهجرة/ الحادي عشر والرابع عشر للميلاد زحف شعب الولوف أو(الجولوف)على منطقة التكرور ، وأصبح يشكل معظم سكانها ،[٥٤] إلى أن أسس أحد رجال الدين التكرور يدعى" ندياً ديان ندياي" إمارة الجولوف ، والتي بدأت تفقد تدريجيًا الآثار الإسلامية التي عرفها ملوك التكرور الأوائل.[٥٥] لكن خلال منتصف القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد قام إمبراطور مالي المشهور "سوندياتا كيتا" بإعادة فتح مملكة التكرور من جديد التي يبدو أنها كانت قد تحالفت مع ملك مملكة الصوصو الوثني" سومنغورو كانتي ".[٥٦]

أما بالنسبة لملوك الماندي أو ما يعرف بمملكة ملل ، أو مالي ، فإن أول من أسلم من ملوكها فكان يدعى " المسلماني" حسب البكري و"برمندانة" حسب ابن خلدون ، والذي أسلم كما رأينا على يد أحد فقهاء الاباضية في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، وينتمي هذا الملك إلى أحدى الأسر المالنكية المشهورة في منطقة النيجر والسنغال العلويين ، والتي يعود لها الفضل في تأسيس مملكة مالي الإسلامية ، والتي حكمتها مابين القرنين الخامس والتاسع الهجريين/الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين ، وهي عائلة كايتا.[٥٧] التي استقرت على ضفاف نهر السنكراني (أحد فروع النيجر) والتي لعبت دورًا كبيرًا في نشر الإسلام في مملكة مالي والسودان الغربي ككل. لقد ذكر ابن خلدون بعض أسماء الملوك من هذه العائلة الذين أدوا فريضة الحج ، ومنهم الملك برمندانة الذي كان أول من أسلم وأول من حج منهم ، ثم اقتفى سننه في الحج ملوك مالي من بعده.[٥٨] كما حج منهم الملك منسا أولي ابن ماري جاطة (سوندياتا)[٥٩] أيام الظاهر بيبرس ، وحج بعده مولاهم ساكورة الذي كان قد أصبح ملكًا بعدما استولى على حكم مالي ، بالإضافة إلى الملك الحاج منيا موسى.[٦٠]

وقد تحدثت المصادر العربية كثيرًا عن الدور الذي لعبه ملك مالي منساموسى أو(كونكو موسى) في نشر الإسلام في إمبراطوريته ، واهتمامه البالغ بتطبيق شعائر الإسلام بين رعيته ، وكذا اهتمامه بأداء فريضة الحج حتى لقب بالملك الحاج ، حيث كان عندما يخرج إلى الحج يقوم ببعض الأعمال الجليلة حتى يتقبل منه الله حجه ، مثل بنائه لمساجد عديدة كمسجد تمبكتو ، دوكوري ، كوندام ، ومسجد ديري ، بالإضافة إلى تسخيره لإمكانيات ضخمة جدا للحج ، فكان يحمل معه في تلك الرحلات المقدسة ، قوات عسكرية كبيرة ، وعدد كبير من العلماء والقضاة ، والخدم والجواري ، وكميات كبيرة جدًا من الذهب إلى درجة كانت تؤدي إلى انخفاض قيمة ذلك المعدن النفيس في القاهرة لما كان يحل بها.[٦١] ومن مظاهر تدين هذا الملك وحرصه على تطبيق شرائع الإسلام تلك الحادثة التي حصلت له بالقاهرة عندما قصدها في طريقه إلى الحج ، فبينما كان الملك منسا موسى في القاهرة عام ٧٢٤هـ/١٣٢٤م فبعث إليه السلطان المملوكي الناصر بن قلاوون شخصًا يستدعيه إليه وعندما وصل إلى قصره رفض منسا موسى السجود أمام ملك مصر ، وقال: "أنا مسلم ولا أسجد إلا أمام الله"[٦٢]

كما تحدث الملك منسا موسى مرة وهو بالقاهرة مع الفقيه "ابن أمير حاجب" في نفس الزيارة عن عاداتهم بمالي والمتمثلة في أنه إذا نشأ لأحد من رعيته بنتا حسناء قدمها للملك أمة فيملكها بغير زواج مثل ملك اليمين ، وعندما نهاه عن ذلك ابن أمير حاجب انتهى عنه وأعلن ترك ذلك ورجوعه عنه رجوعا كليًا.[٦٣] كما عُرف عنه جهاده في سبيل الله ، حيث كان يحارب طائفة من الشعوب الوثنية المتوحشة تعرف بالدمادم ،[٦٣] وهم يشبهون بالتتر ، و يعرفون أيضًا باللملم.[٦٤]

وخلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي زار ابن بطوطة مملكة مالي التي كان يحكمها آنذاك شقيق الملك منسا موسى وهو منسا سليمان ، فنقل إلينا وصفًا دقيقًا عن هذا الملك الذي كان أشبه بسلاطين المسلمين وخلفائهم من خلال تدينه ، وحبه للعدل وتقربه من الفقهاء والعلماء وتعظيمه لهم. وكان حريصًا على الصلاة ، حيث ذكر ابن بطوطة أنه إذا كان يوم الجمعة ، ولم يبكر الإنسان إلى المسجد فإنه لن يجد أين يصلي لكثرة الزحام ، كما أضاف عنه بأنه كان يأمر بربط أبنائهم يوم العيد بسبب عدم حفظهم لآية من القرآن.[٦٥]

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

وعُرف عن ملوك مملكة سونغاي أيضًا تمسكهم بالدين الإسلامي ونشره في أركان مملكتهم، فلقد كانوا يخرجون كل سنة خارج مدينة جاو لملاقاة الحجاج ومدهم بالكسوات واللباس، ويسألونهم الدعاء لهم، ويتبركون بهم.[٦٦] ومن مظاهر جهادهم في سبيل إعلان كلمة هذا الدين في إفريقيا جنوب الصحراء ما تم العثور عليه في سنة ١٩٣٩م في بلدة "ساني". وهي تبعد عن مدينة جاو بأربعة أميال. حيث وجدت بها لشواهد لقبور ملكية يعود تاريخها إلى بداية القرن السادس للهجرة /١٣م، كتب عليها عبارة (هنا جثمان الملك الذي دافع عن دين الله ويرقد الآن في رعايته). كما كتب تحت هذه العبارة سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م، وكتب أيضًا اسم أبي عبيد الله محمد، ثم أضيفت إليه كلمة "إن الملك مات من أجل انتشار الإسلام في جاو".[٦٧] وكان ملوك جاو أشد الملوك اقتداء وتشبها بالملوك المسلمين، حيث كان إذا ولي منهم ملك قدّم إليه خاتم وسيف ومصحف يزعمون أن الخليفة أمير المؤمنين في المشرق الإسلامي هو الذي بعث به إليه،[٦٨] في محاولة لعطاء حكمهم الصبغة الشرعية. فنجد أن ملك سونغاي في عهد الاسقيين الحاج محمد التوري، بعد سقوط دولة المماليك في مصر حاول أن يأخذ الخلافة من آخر الخلفاء العباسيين، وهو المتوكل الثاني عبد العزيز بن يعقوب، وذلك خلال زيارته للبقاع المقدسة بغرض الحج في أواخر عام ٩٠٠ هـ /١٤٩٤م عندما مرّ بمصر، وكانت الخلافة آنذاك ما تزال للعباسيين قبل أن يأخذها منهم السلطان العثماني سليم الأول. فاجتمع الاسقيا الحاج محمد التوري بالخليفة العباسي المتوكل الثاني، وطلب منه أن يأذن له بإمارة السودان، ويكون خليفته عليها، وأدعى الحاج محمد توري بأن الخليفة العباسي جعله نائبًا له على ما وراءها من المسلمين. ولما عاد ملك سونغاي إلى بلده أقام حكمه على قواعد الشريعة الإسلامية.[٦٩]

أما أمير مدينة جني الواقعة على ضفاف نهر النيجر الأعلى، والتي تأسست في منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فإن أميره المسمى " كنبر"هو أول من اسلم من ملوكها خلال أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وكان ذلك في عهد المرابطين وحذت حذوه رعيته التي اكتمل إيلامها في نهاية القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر الميلادي.[٧٠] وعندما عزم هذا الملك على الدخول في الإسلام أمر بحشر جميع العلماء الذين كانوا في أرض المدينة، فحصل منهم على أربعة آلاف ومائتان عالمًا فأسلم على أيديهم، وأمرهم أن يدعوا الله بثلاث دعوات لتلك المدينة، وهي أن كل من هرب إليها من وطنه ضيقًا وعسرًا أن يبدلها الله له سعة ويسرًا حتى ينسى وطنه ذلك، وأن يعمرها بغير أهلها أكثر من أهلها، وأن يسلب الصبر من الواردين للتجارة في ذات أيديهم لكي يملوا منها فيبيعونها لأهلها بناقص الثمن فيربحوا بها، فقرؤوا الفاتحة في هذه الدعوات.[٧١] كما قام بتخريب دار السلطنة وحولها إلى مسجد، كما بنى بيوتًا حوله.[٧٢]

ويرجع إسلام أول ملوك السودان الأوسط إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي مع تحول ملك الكانم إلى الإسلام، إذ دخل أولاً الإسلام إلى إقليم بورنو على يد "محمد بن ماني " الذي عاش خمس سنوات في بورنو في عهد الملك بولو، وأربع عشرة سنة في عهد الملك حمادي، وضم بورنو إلى الإسلام بفضل الملك حمادي ونشر الملك محمد بن ماني الإسلام في الخارج. وتجدر الإشارة إلى أنه في عهد أسلاف حمادي (بداية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) كان يعيش في بلاطهم عدد من علماء الدين المسلمين، يلقنون الحكام أنفسهم تعاليم الإسلام، ويدرسون معهم آيات من القرآن[٧٣]، ولكن لا أحد من الملوك كان يجاهر بإسلامه، لذلك لما تحدث عنهم البكري (منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) وصف ملوك كانم بأنهم سودان مشركون.[٧٤]

خاتمة

ومهما يكن؛ فإن هذه النماذج من الملوك السودانيين الذين تقمصوا دور الدعاة في بلادهم، كانوا في أغلبهم على قدر مهم من الوعي الديني، وفهم للإسلام، رغم أنهم لم يكونوا يرقون إلى درجة الفقهاء أو العلماء، ولكنهم كانوا يتميزون بقوة إيمانهم وبحماسهم، وبعضهم بلغ درجة التعصب لهذا الدين، وفهموا دورهم باعتبارهم ولاة أمور يقع على رقابهم مهمة تبليغ هذا الدين والحفاظ عليه، فراحوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويحتكمون شريعة الله، ويقيمون العدل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ويدعون إلى الله ويجاهدون في سبيله.

لكننا نرى بأن بعض الملوك الأوائل الذين دخلوا الإسلام كان منهم من كان قليل المعرفة بالإسلام، ومنهم من كان يخفي إسلامه عن قومه، أو تجده متسامحًا بدرجة كبيرة مع رعاياه غير المسلمين فكانوا يراعون تقاليد شعبهم الوثنية وموروثاتهم الدينية القائمة على السحر وعبادة الأوثان وتقديس أرواح الأجداد، رغم ما اشتهر عن هؤلاء الملوك من إيمان وتقوى، فلقد كان هؤلاء الملوك يعرفون كيف يحافظون على تماسك مجتمعاتهم التي كانت تتحكم فيها الانتماءات العشائرية والطائفية أكثر من أي عامل آخر، ولدينا في إمبراطور مالي سوندياتا كيتا نموذج على ذلك التسامح الذي كان يبديه إزاء مواطنيه من الوثنيين، وهو ما فتح المجال أمام بعض المؤرخين الغربيين للتشكيك في مسألة إسلامه أصلاً رغم شهادة ابن بطوطة بإسلامه، وكذا تعاليمه وشرائعه التي كانت تحمل الكثير من تعاليم الإسلام في طياتها.

كما ورث ذلك الجيل من الملوك خلفاء أعطوا نماذج هائلة في للملوك المسلمين الداعين لدينهم والمجاهدين في سبيله، خاصةً خلال فترة الاحتلال الأوربي لإفريقيا الغربية أين ظهر لنا في مسينا الحاج عثمان بن فودي أو (دان فودي) الذي أعلن عن مشروعه سنة ١٢٢٣ هجرية/ ١٨٠٩م، فأعاد بعث الإسلام ونشره بين القبائل الوثنية، في شتى أرجاء القارة السوداء، كما عمل على إعادة بناء الدولة الإسلامية من جديد، وتوسيع رقعة الإسلام بالجهاد ضد القبائل الوثنية التي اجتمعت على حرب الإسلام ودعوته الجديدة. واتبع إستراتيجية الجهاد على عدة محاور، وضم الشعوب الإسلامية تحت رايته، فضم إليه عدة شعوب وقبائل مسلمة كانت متناثرة ومختلفة فيما بينها، وتوسع في الغرب والجنوب الغربي، حيث قبائل 'اليوروبا' الكبيرة، فدانت له هذه القبائل ودخلت في دعوته، وأخذت دولته الإسلامية في الاتساع شيئًا فشيئًا، حتى أصبحت أقوى مملكة إسلامية في إفريقيا وقتها. بالإضافة إلى حركة تلميذه الحاج عمر طال (١٧٩٩. ١٨٦٤م/١٢١٤- ١٢٨١هـ) في نيجريا، والشيخ ساموري توري وغيرهم، الذين يعود لهم الفضل ليس في نشر الإسلام فقط بل أيضًا في نشر الوعي الوطني والقومي في إفريقيا، وفي الحفاظ على الشخصية الإسلامية لإفريقيا السوداء جنوبي الصحراء.

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الهوامش:

(١) أنظر: أحمد الياس: دور فقهاء الاباضية في إسلام مملكة مالي . جامعة الخرطوم. موقع الكتروني:

Www . nafosa-net.com/vb/showthread.php?t=19865 اطلع عليه يوم: ٢٠١٠/١١/٢١

. أنظر أيضا: نبيلة حسن محمد: في تاريخ الحضارة الإسلامية في إفريقيا. دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، دون تاريخ ، ص٢٥٧ وما يليها.

(٢) إن مصطلح السودان الغربي والأوسط هما مصطلحان يطلقان على إفريقيا الغربية و جنوب الصحراء الليبية

(3) Trimingham (Spencer): A history of Islam in West Africa. Oxford university press, 1962, p20.

(٤) يذكر البكري(١٠١٤م/٤٠٤ هـ—١٠٩٤م /٤٨٧ هـ) بأن بني أمية قد أنفذوا جيشًا وصل إلى مملكة غانة لفتحها ، واستقروا هناك أين خلفوا قوما يعرفون بالهنيهين. . أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك. دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، دون تاريخ ، ص١٧٩. لكن الراجح هو أن الفتوحات الإسلامية وصلت إلى تخوم السودان فقط حسبما يذهب إليه ابن عبد الحكم ، الذي عاش في فترة أقرب إلى تلك الأحداث (214 - 155هـ/ ٧٧١- ٨٢٩م) حيث يقول: ((وفتحهم لكورة من كورهم) . أنظر ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب. تحقيق: عبد المنعم عامر ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٢٩٣.

(٥) نبيلة محمد حسن: المرجع السابق ، ص ٢٦٥.

(٦) تعد مدينة أودغست إحدى أهم المحطات التجارية للقوافل العابرة للصحراء ، وهي إحدى المدن السودانية التي كانت محل نزاع بين إمبراطورية غانة وصنهاجة ، حيث تعد بوابة السودان الغربي ، وتكون هذه المدينة قد تأست حوالي القرن الأول الهجري/السادس الميلادي.

(7) Trimingham (Spence):Op.Cit, p20.

(٨) البكري: المصدر السابق ، ص١٥٩.

(٩) الزهري(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر):كتاب الجغرافيا. تحقيق: محمد حاج صادق. مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، مصر ، د . ت ، ص ٢٢.

(١٠) نبيلة محمد حسن: المرجع السابق ، ص٢٧٩.

(١١) نفسه ، ص٢٨.

(١٢) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. تحقيق: كارل يوحنا نورمبورغ ، دار الطباعة المدرسية أوبسالة، ١٨٣٢ ، ص ٧٦.

(١٣) شوقي(عطا الله الجمل) وعبد الله(عبد الرازق إبراهيم): تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم. دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص٨٧.

(١٤) نفسه ، ص ٨٧.

(١٥) أحمد إلياس ، المرجع السابق.

(١٦) م.الفاسي: مراحل تطور الإسلام وانتشاره في إفريقيا ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام: الجلد الثالث من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر .صادر عن اليونسكو ، طبعة ثانية ، مطبعة حبيب درغام وأولاده ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ ، ص٩١.

(١٧) نفسه ، ص٩١.

(١٨) انظر الدرجيني(أبو العباس): طبقات المشايخ بالمغرب. تحقيق: إبراهيم طلاي ، دون تاريخ ، جزء٢.

(١٩) قداح(نعيم): حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية. الشركة الوطنية لطباعة والنشر ، الجزائر ،١٩٧٥ ، ص٩٦.

(٢٠) م. الفاسي ، المرجع السابق ، ص ٩١.

(٢١) نفسه ، ص٩٨.

(٢٢) مجهول: الحلل الموشية في الأخبار المراكشية. تصحيح:البشير الفورتي ، مكتبة التقدم الإسلامية ، تونس ، د.ت ، ص١٧.

(٢٣) دندش(عصمت عبد اللطيف): دور المرابطين فينشر الإسلام في غرب إفريقيا. بين ٤٣٠ و٥١٥ هـ/١٠٣٨ و١١٢١م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨ ، ص١١٢.

(٢٤) نفسه ، ص ١١٤.

(٢٥) الحلل الموشية ، ص٧.

(٢٦) دندش عصمت عبد اللطيف: المرجع السابق ، ص١١٢.

(٢٧) شنايت(العيفة): دولة بني مدرار بسجلماسة ، ودور تجارة القوافل في ازدهارها بين القرنين الثاني والرابع الهجريين ـ رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ. جامعة الجزائر السنة الجامعية: ١٤١٠ /١٤١١هـ /١٩٩٠ /١٩٩١ م ، ص ١٣.

(٢٨) انظر: ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص٨١.

(٢٩) جودت (عبد الكريم يوسف): العلاقات الخارجية للدولة الرستمية. المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٤ ، ص٢٧٢.

(٣٠) لومبار(موريس): الإسلام في مجده الأول.(القرن٢ . ٥ هـ/٨ . ١١م). تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي ، الجزائر ، طبعة١ ، ١٩٧٥ ، ص٣٣٦.

(٣١) المصدر السابق ، ص ١٧٥.

(٣٢) كان يحكم مملكة غانة ملوك من أسرة سيسي السوننكية التي انتزعت الحكم من أسرة بيضاء كانت تحكم غانة قبلها ، وقد استمر حكم أسرة سيسي من نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي إلى غاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي . جون فيج: تاريخ غرب إفريقيا. ترجمة: سيد يوسف نصر ، دار المعارف الإسكندرية ، طبعة أولى ، ١٩٨٢ص. ١٦.

(٣٣) المصدر السابق ، ص ١٧٥.

(٣٤) نفس المكان.

(٣٥) م. الفاسي ، المرجع السابق ، ص٩٩

(٣٦) هو نفسه الملك الذي ذكره ابن خلدون ودعاه" برمندانه". . أنظر: كتاب العبر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ ، ج٦ ، ص ٢٦٦.

(٣٧) البكري: المصدر السابق ، ص ١٧٨.

(٣٨) الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد): طبقات المشايخ ، ص١٣٧.

(٣٩) أخبار الأئمة الرستميين ، ص٨١.

(٤٠) البكري: المصدر السابق ، ص١٧٩.

(٤١) م.الفاسي نقلاً عن برنار لويس: المرجع السابق ، ص ١٣٢.

(٤٢) البكري: المصدر السابق ، ص١٦٨.

(٤٣) م. الفاسي: المرجع السابق ، ص ١٠١.

(44) Cornevin (Robert et Mariane): Histoire de l'Afrique. Des origines à la 2éme guerre mondiale. Petite bibliothèque Payot, Paris, 1964, pp161 et163

(٤٥) المصدر السابق ، ص١٦٨.

(46) Trimingham (Spencer): Op, Cit; p41.

(٤٧) سيلا (عبد القادر): المسلمون في السنغال ، معالم الحاضر وآفاق المستقبل. سلسلة كتاب الأمة تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية لدولة قطر ، طبعة أولى ، ١٤٠٦هـ، ص ٢٠ ، ٢١ و٢٢.

(48) Cornevin :Op.Cit, p161

(٤٩) البكري:المصدر السابق ، ص١٦٨.

دورية إلكترونية مُحكّمة ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

